قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل
السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز
وقيل قامت المرأة الى صنم هناك فسترته وقالت أستحيي أن يرانا
فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي من السميع البصير
العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر
الذين دينهم بهت الله وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا
من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف
عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت
على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب
وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثنى عليه
وسمي مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه
جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم
ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين
ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم
يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل
له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده إبرهيم وليقتدي به
الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في
مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي الى أن يكون
إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين
ليقتدى بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل
تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به

من عنده ثلث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد
الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد
غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه
حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم
وأحدهم حدقة وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا
لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن
ضلال ما أبينه كذلك الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك لنصرف عنه السوء
من خيانة السيد والفحشاء من الزنى إنه من عبادنا المخلصين الذين
أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن
عصمهم ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة
والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا
أي هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبرهيم
الذين قال فيهم إنا أخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا
الى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه
أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد
الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج فإن قلت
كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب قلت أراد
الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص وقد روى كعب
أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من
الأبواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق

Copyright ... University